صفحات من النضال الوطني

14 أكتوبر ثورة استثنائية قصمت ظهر الاستعمار ومنحت الشعب الحرية والاستقلال

من صنعاء بدأت لبنة النضال الوطني ضد الاستعمار الأجنبي

الحديثُ عن ثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963م حديثٌ طويلٌ ومُتشَعِب؛ كونَهُ يأخذ المرءَ إلى مراحل شتى مِن مراحل النضال الوطني الذي جسَّدَهُ أبناءُ الشعبِ اليمني الأبي بكل شجاعةٍ وبسالة في وجهِ المستعمِر البريطاني، حيث لا يمكن لِمَنْ يُريدُ الحديثَ عن ثورة أكتوبر أنْ لا يعود بذاكرته إلى اليوم الأوّل الذي شهدتْ فيه مدينةُ عدن الباسمة - والتي هي جزء عزيز في جسد الشعب اليمني- طلائعَ الحملة الاستعمارية البريطانية التي قادها القبطان هينس في صبيحة التاسع عشر من يناير 1839م بعدَ عددٍ مِن المحاولات الفاشلة من قِبَلِ القواتِ البريطانية المُحتلة.

تحقيق/
فايز محيي الدين البخاري

* فهذا اليوم لا يزالُ وسيظل عالقاً بذاكرة الأمَّة والشعب عامة؛كونَهُ أوّل يوم تطأ فيه أقدامُ المستعمر الغاصب أراضي الشعب اليمني الذي ما رضخَ لمُحتَلٍّ أبداً طيلة الحقب الزمنية المتتالية منذ عهد الأحباش ثم الفرس؛ ومروراً بالغزو العثماني المتكرر والقراصنة البرتغاليين؛ وانتهاءً بالاستعمار البريطاني الذي لاقى بسالةً منقطعة النظير ومقاومةً ضاريةً كانت كفيلةً بدحرهِ وإخراجه رغماً عن أنفه صاغراً ذليلاً في الثلاثين من نوفمبر 1967م بعد سنوات من الكفاح المُسلّح الذي قادَهُ الوطنيون والمناضلون الشرفاءُ من أبناء الشعب اليمني الذين أبوا أنْ تَظلَّ أقدامُ المُحتلّ تُدنِّس ثراهم الطهور وأنْ تبقى أفواهُ المستعمر تمتصُ خيرات وطنهم جهاراً نهاراً دون وجه حق،فهبَّ الشعبُ قاطبةً من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه وكُلُّهم يهتفون بصوتٍ واحدٍ "بَرَّع ..بَرَّع يا استعمار".

تأثير الثورة السبتمبرية

* حين نتحدث عن ثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963م لا بُدَّ أنْ نعودَ إلى الإرهاصات الأوّلية التي كوَّنتْ هذا البركان الثوري الذي عَجَزَ الاستعمارُ البريطاني عن الوقوف في وجهِ تيَّارِه العاتي أو التصدي لحِمَمِه التي طالتْ كُلَّ افراده وسامتْهُم سوءَ العَذاب.

وممَّا لاشكَّ فيه عند الجميع ممَنْ كتبوا وأرَّخوا لثورة أكتوبر أنْ انطلاقة ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام 1962م في صنعاء ضد النظام الإمامي الكهنوتي الرجعي المستبد؛ كانتْ هي الحافز الأوّل فيما بعد لتفجير وانطلاقة ثورة الرابع عشر من أكتوبر عام 1963م التي أطلقَ أولى شرارتها المناضلون من المناطق الجنوبية والوسطى أمثال "لبوزة" الذين شاركوا ببسالة في حروب الثورة السبتمبرية وعادوا مُحمَّلين بالحماس الوطني الذي يتقد بين جوانحهم؛ وقد عقدوا العزم على أنْ لا يظل على الأراضي اليمنية أي أثر لمستبد أو مستعمر، وهو ما باركتْهُ حكومةُ صنعاء آنذاك، والتي كانت لا تزال في بدايتها والأخطار الإمامية وجحافل الرجعية تُحدقُ بها من كل جانب، ورغم ذلك لم تنسَ أنَّ عليها واجباً وطنيّاً مُقدساً تجاهَ جُزء عزيز وغال من الوطن الحبيب كانَ لا يزالُ يرزحُ تحتَ نَيْرِ المستعمر البريطاني الذي حاول بشتى السُبُل قمعَ المقاومة الوطنية التي تفجَّرتْ ضدَّهُ في كُلِّ مناطق جنوب الوطن؛ وقامَ بعدَّة عمليات وحشية ضد المواطنين العُزَّل من أبناء اليمن ظناً منه أنَّهُ بتلك العمليات الوحشية سيُثنيهم عن مواصلة الكفاح والتخلي عن فكرة التحرُر من براثنه والفكاك من شباكه وشراكه التي نصبَها للأحرار في كُلِّ مكان؛ ولكنَّها بدتْ أمامَ طوفان الغضب الثوري للمناضلين اليمنيين أوهى من خيوط العنكبوت؛ الأمر الذي أرغمَ بريطانيا العظمى أو الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس إلى الإذعان صاغرةً ذليلة لمطالب الشعب اليمني الحر؛وذلك بالجلاءِ عن كل أراضيه دون قيدٍ أو شرط؛ وهو ما لم يكن ليحدث لولا البسالة الوطنية الصادقة التي أبداها المناضلون اليمنيون على اختلاف مشاربهم الفكرية والسياسية في كل مناطق المواجهة التي دارت فيها رحى الحرب التحررية بينهم وبين القوات البريطانية المحتلة.

المغتربون والطلاب في الخارج أسهموا بدورٍ فاعل في النضالِ والانتصار

من صنعاء البذرة الأولى

* بعد مرور عام على قيام الثورة السبتمبرية اجتمعَ عددٌ من مناضلي المناطق الوسطى والجنوبية ممَّن شاركوا في الثورة السبتمبرية والحروب ضد فلول الإمامة في دار السعادة وقصر البشائر بصنعاء وعلى رأسهم قحطان محمد الشعبي، وبحضور ناصر السقاف وعبدالله المجعلي ومحمد علي الصوماتي وثابت علي المنصوري ومحمد أحمد الدقم وبخيت مليط وأحمد عبدالله العولقي وعيدروس حسن القاضي وعلي محمد الكاظمي وعبدالله محمد الصلاحي، والذين قاموا بالإعداد لمشروع ميثاق وطني يُوجَه إلى القوى الوطنية ودعوا إلى تشكيل "جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل" وكانت هذه اللجنة - حسب سعيد أحمد الجناحي – قد لاقت تجاوباً ودعماً من قبل حكومة صنعاء والقوات المصرية في اليمن آنذاك بإيعاز من الزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذي كان يُولي قضايا اليمن اهتماماً خاصاً، ناهيك عن طموحاته العربية والقومية في القضاء على كل الانظمة الرجعية في الأقطار العربية وتحرير كافة الأراضي العربية من دنس المستعمر الغاشم، وهو ما حدا بالقيادة المصرية إلى المسارعة لدعم جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل ومباركة الخطوات التي اتخذها ممثلو الجبهة برئاسة قحطان محمد الشعبي؛ بل وقامت القيادة المصرية بفتح معسكر في "صالة"لتدريب الفدائيين من اليمنيين الذين كان لهم دور حاسم في ثورة 14 أكتوبر بما خلقوه من رعب منقطع النظير في نفوس قوات الاحتلال البريطاني التي رأت في اليمنيين بسالة ما عهدت مثلها في كثير من الشعوب التي احتلتها رغم السياسات المتعددة التي انتهجتها طيلة الحقبة الاستعمارية والتي اتسمت باللين تارة أخرى ومحاولة التمويه بالمعاهدات والحمايات وإبرام الصفقات النفعية مع بعض السلطنات والمشيخات الجنوبية إلا أن كل ذلك لم يجد في الأخير شيئاً وباءت محاولات بريطانيا كاملة بالفشل الذريع وعلى رأسها سياسة "فرق تسد".

واحدية الثورة

* ولعل القول بواحدية الثورة اليمنية ضد الإمامة والاستعمار البريطاني والذي تناوله العديد من الكتاب الذين أرَّخوا للثورة اليمنية، قولٌ لا يحيد عن الصواب أبداً؛ بدليل ما ذكرناه سابقاً؛ وبدليل المشاركة الباسلة لأبناء الجنوب في ثورة 26 سبتمبر 1962م واتخاذ صنعاء وتعز وإب قاعدة لانطلاقة التنظيم الوطني الذي قاد الكفاح المسلح في الجنوب بدعم من حركة القوميين العرب بصنعاء والتي انبثقت عنها الجبهة القومية بعدن التي تولت في البداية تبني الكفاح المسلح ضد بريطانيا بعد أن أعلن أولى شرارات الثورة عليها المناضل الشهيد غالب بن راجح لبوزة من أعلى جبال ردفان الشماء في الرابع عشر من أكتوبر 1963م فما كان من القوى الوطنية المنظمة وفي مقدمتها الجبهة القومية التي تكونت بدعم من حكومة صنعاء إلا أن تبنت تلك الثورة وأعلنت للملأ عبر المنشورات التي كانت تُوزَّع في كل مكان عن مواصلتها للكفاح المسلح الذي اعتبرته الحل الوحيد والأمثل لتحرير الجنوب اليمني المحتل من براثن المستعمر البريطاني الغاصب.

وفي هذا المقام أذكر ما قاله لي المناضل "حسين شرف الكبسي" أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار الذين فجَّروا ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة ضمن المقابلة التي أجريتها معه في العدد الخاص من صحيفتنا الغراء "الثورة" الذي صدر في يوم السادس والعشرين من سبتمبر بمناسبة الذكرى الحادية والخمسين لقيام الثورة السبتمبرية حيث أفادني بالقول :إنه بعد أن تولى قيادة لواء إب خلفاً للشهيد أحمد الكبسي في السنوات الأولى لثورة سبتمبر أتاه إلى مدينة إب عدد من أبناء الجنوب وبينهم أشخاص من المناطق الوسطى في إب ممن شاركوا في ثورة أكتوبر وطلبوا منه أنْ يتم مواصلة الاتفاق الذي كان بينهم وبين الشهيد أحمد الكبسي الذي كان قائداً للواء إب قبله، وحين سألهم عما هو الذي بينهم وبين الشهيد أحمد الكبسي من اتفاق قالوا له أنه كان يمدهم ويدعمهم بالمال والسلاح الذي كانوا يواجهون به قوات الاحتلال البريطاني، فأجابهم بأنَّهُ ملتزم بتقديم ذلك الدعم وزيادة، بل إنَّهُ يقول أنّ متانة العلاقة بينهم وبين ثوّار ردفان والضالع وصلَتْ إلى حد تقاسم الكُدَم (العيش) معهم؛ ما جعلَ الرئيس سالم رُبيِّع علي يقف مع المناضل حسين شرف الكبسي بقوة حين اعتقلَهُ الرئيس أحمد حسين الغشمي عقب مقتل الرئيس